

قصة النبي نوح «ع» في القرآن



جاء ذكر النبي نوح في القرآن في 28 سورة، توسّعت واحدة منهنّ في التوضيح واستيعاب القصة أكثر وهي سورة هود، واختصرت أخرى كسورة النساء، وجاءت سورة كاملة باسمه تحدثت عن عنائه ودعوته وطريقه المستمر ودعائه على قومه بعد أن يؤس منهم، بل علّمه منهم توريث الضلالة لغيرهم.

فكلّ سورة تحدّثت عن جهة من حياته ودعوته وجهاده.

وقد ذكر اسمه في القرآن في 43 موضعاً، واسمه مشتق من المناحة وقيل سمي بذلك لأنّه نوح على قومه كثيراً لما حصل لهم من العناد والاستكبار والاستخفاف إلى حين نزول العذاب بهم.

- أسماؤه في القرآن:

سماه ﷻ: (الناصح أمين) (أُبْلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) (الأعراف/ 68).

والعبد الشكور: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (الإسراء/ 3).

وسلام ﷻ عليه وباركه حيث قال: (سَلَامٌ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) (الصافات/ 79).

وضع الميزان لسمو الإنسان وكماله ودرجته وهي تقواه □ سبحانه وهؤلاء هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ثم إن حسابهم ليس على أحد بل هو على □ سبحانه وهو مَن يقيّم الأمور.

لقد أجاب الأشراف منهم: أنت بشر والذين اتبعوك هم أراذل ضعاف فقراء ليس لهم رأي حصيف، وما لك علينا أدنى فضل حتى نسمع كلامك ونطيعك فيما تأمر.

وهكذا بدأت سنة التكذيب والاستعلاء والاتهام.

فيجب النبي المرسل: إنّه لا يطلب أجراً مقابل ما يأمر به، فلم لا يستجيبون لدعوته وهي بالمجان، وإنّ الأجر الذي يبغيه هو من □ فقط، فلماذا يتكبرون في وجهه، ولا يرغبون في طاعته، ثمّ كيف يطرد أُناساً من خلق □ وقد اتبعوه وأطاعوه، وهؤلاء لا يدّ لهم من اللقاء برّبهم فيشكونه ممن طردهم وأساء إليهم لا لذنّب اجترحوه، بل لأنّهم ضعاف. ثمّ إنّ لهم أعمالاً سيجزون عليها ويثابون.

ثمّ مَن سيحميه من □ إذا قام بطرد أُناس لا ذنب لهم سوى إنّهم ضعفاء فقراء.

وبديهي أنّ مَن يطلب الإنصاف والعدل هو مَن تعرّض للظلم والاضطهاد، ولذلك عندما يأتي الرسول المنقذ يلتف حوله المغلوبون الذي لا ناصر لهم من الغالبين، وقد جاء نوح والفساد قد طغى.

ثمّ يقول لهم أنا لا أملك المال ولا أعلم الغيب وما سيكون، ولا أتحدث عن هؤلاء الذين لا ترغبون برؤيتهم وتنظرون إليهم بنظر الاستخفاف والاستهزاء، وكأنّهم خلقوا من غير شيء، و□ سبحانه هو أعلم بسائر عبادته، وهو من سيجازيهم على أعمالهم صغيرها وكبيرها.

وبديهي أنّ المستكبرين في أي زمان يريدون مَن يستغلونهم ويخدمونهم فكيف يمكنهم إعطاء كلّ هذا التنازل لشخص يريد سلب راحتهم وهنائهم.

إلا أنّ هؤلاء ليسوا بمستوى أن يستجيبوا لنداء الحقّ وهم بنوا بنيانهم على باطل، وكيف يدعون مَن بنى بنيانه على تقوى □ أن ينتصر وأن يستجيبوا لدعوة مَن يريد النهوض بالفقراء وانتشالهم من محنتهم.

والظالم يعرف نفسه، فهو على نفسه بصيرة، ولا يمكنه أن يحاور أو يستمع لنداء الحقّ المعلن بدعوة الأنبياء، فليس لديهم كلام منطقي يقولونه إلاّ هذا الكلام البذيء الذي لا يحمل أي معنى غير معنى الاستعلاء والاستكبار.

والآية من سورة هود تبيّن مدى عناء النبيّ في دعوته، ومدى آذاه ومعاناته فيقولون له: (يَا زُوحُ قَدَّ جَادَلْتَنَا فَآكْثَرْتَنَا جِدَالَاتِنَا فَأَوْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (هود/ 32).

عليك السكوت ولقد أكثرت الكلام، ألم تهدّدنا بالعذاب من ربّك فهاته إذن وارحنا وارح نفسك، وهذا ما يكرره في كلّ زمان ومكان الظلمة والبغاة والكفار، (فأتنا بما تعدّنا) (إنّ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ)، فيقول المرسل: (مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (الأنعام/ 57)، (لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بِبَيْتِي وَبَيْتِكُمْ) (الأنعام/ 58)، ما عندنا ما تريدون منّا من الهلاك ولو حصل ذلك لانتهى الأمر ولا حاجة إلى الإنذار والأعدار، وإنّ □ لو شاء لانتصر منكم ولأهلككم في لحظة.

ويستمر النضال ويستمر التهديد من أصحاب القدرة الزائفة الذين يتصوّرون أنفسهم قد ملكوا السماء

والهواء ويهدّ دون النبيّ الناصح بالطرد والرجم، وهو أَوْقَحُ تهديد، تهديد فيه نوع من التحقير والتوهين (قَالَ لَوْ لَأْتَيْنَهُ لَمْ تَذُنْ لَهُ يَا نُوحُ لَتَذَكُّونَنَّهُ مِنَ الْمَرَجِ مُومِنِينَ) (الشعراء/ 116). وهكذا وبكلّ جرأة وصلافة يهدّ دون نبيّهم بل يريدون رجمه بالحجارة إذا ما استمر في دعوته ومحاولة هدايتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.